

## الحيوان والطير فى البيوت السلطانية المملوكية

دكتور

أشرف سمير توفيق

مدرس بكلية دار العلوم جامعة المنيا  
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

الترفيه والتسلية وسيلة هامة يقبل عليها الناس لقضاء وقت فراغهم، وجانب مهم فى حياة الشعوب الاجتماعية للترويح عن نفوسهم، ولتربيض عقولهم وأبدانهم، ولذا فإننا نجد أن لكل أمة وسائل الترفيه والتسلية الخاصة بهم والتي تتفق مع عاداتهم وتقاليدهم.

ولقد تعددت وسائل التسلية والترفيه فى جميع العصور، ولا سيما العصر المملوكى الذى تعددت فيه تلك الوسائل، فمنها ما اتصل بالفنون أو الرياضة أو الفروسية وغيرها، ومن تلك الوسائل التى شملت جانباً خاصاً فى حياة سلاطين المماليك اهتمامهم بالحيوان والطيور على مختلف الأنواع، كشغف سلاطين المماليك باقتناء الحيوانات والطيور، وحرصوا على اقتناء كل ما هو غريب منها، خاصة وأن ما يذكر أن من " لطائف طبيعة مصر أن بها أنواعاً مختلفة من الدواب من خيل وبغال وحمير وبقر وجواميس وأغنام وماعز، ومما يوصف من دوابها الجياد الحمر لفراتها، والبقر والغنم لعظمتها، وبها الأوز والدجاج والحمام، ومن الوحش الغزلان والأنعام والأرانب.<sup>(١)</sup>

وعُرف أن من طباع أهل مصر القدرة على ترويض تلك الحيوانات والطيور وهذا ما أشار إليه (ابن خلدون) فى مقدمته حيث قال : " أنهم يعلمون الحمر الأنسية، والحيوانات العجم من الماشى والطائر مفردات الكلام، والأفعال مما يستغرب بدورها ويعجز أهل المغرب عن فهمها"<sup>(٢)</sup>

فطبيعة مصر بما فيها من وفرة تلك الحيوانات والطيور، وتعامل الناس معها واستخدامها كوسيلة من وسائل الترفيه عن أنفسهم، فضلاً عن حياة الترف واللهو التى

(١) السيوطى: حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة

الموسوعات، القاهرة ١٩٦٨، ج ٢ ص ١٩٧

(٢) ابن خلدون : المقدمة، تحقيق على عبد الواحد وافي، القاهرة، ١٣٢٢هـ / ١٩٦٦م، ج ١ ص

تمتعت بها مصر في عصر سلاطين المماليك، كل ذلك أعزى سلاطين المماليك بالتفنن في الاستمتاع بتلك الثروة من الحيوانات والطيور وجعلها وسيلة من ضمن الوسائل المتعددة للترفيه والاستمتاع بمباهج الحياة.

ويبدو أن الدافع وراء اهتمام السلاطين المماليك بالحيوان والطير حبهم للألعاب الرياضية المتصلة بالحيوان والطير، حيث عنوا بالفروسية وسباق الخيل، والرماية، والصيد وغيرها من الألعاب المختلفة التي سيأتى ذكرها في موضعها.

ويعتبر السلطان الناصر محمد من أكثر السلاطين شغفاً باقتناء الحيوان والطير، وخاصة الخيول حيث جلبت له الخيول من كافة البلاد وعُرف عنه أنه كان جيداً المعرفة بالخيول وشياتها<sup>(١)</sup> وأنسابها ومبلغ أثمانها، وكان يرى السلالات الممتازة منها<sup>(٢)</sup> وكان يبذل الكثير من الأموال في أثمانها، فيذكر أنه أقطع عرب آل مهنا وآل فضل عدة ضياع بأراضى حلب وحماه بسبب جلبهم للخيول الأصيلة إليه، غير أنهم كانوا يتقاضون أثمانها، كما جلب إليه أهل البحرين والحجاز والعراق كرائم خيولهم، فدفعت لهم في الفرس من عشرة آلاف إلى عشرين ألف درهماً، وبلغ من رغبته فيها أنه صرف في أثمانها دفعة واحدة ألف ألف درهم في اليوم الواحد، وتكرر منه ذلك أكثر من مرة<sup>(٣)</sup>، كما يذكر أن الولاة كانوا يجمعون له أجود أنواع الخيول، فيذكر أن متولى البحيرة جمع له من خيل عربانها ستمائة وأربعين فرساً<sup>(٤)</sup>

(١) الشيات : هو اللون الذى تمتاز به الفرس، وفي محيط المحيط، الشية كل لون يخالف معظم لون الفرس أو غيره كالسواد فى البياض والعكس (أنظر: المقرئى: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة ١٩٣٤-١٩٥٨، ج ٢ ق ٢ ص ٢٦٠ هامش (٢).

(٢) المقرئى: السلوك، ج ٢ ق ٢ ص ٥٢٥.

(٣) المقرئى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الثقافة الدينية، ج ٢ ص ٢٢٤، ٢٢٥، السلوك، ج ٢ ق ٢ ص ٥٣٠

(٤) المقرئى : السلوك، ج ٢ ق ٣ ص ٩١٠

pool, s.l:A History of Egypt in The Middle Age, London 1925 ( Fourth Edition, P.316)

فتوالدت عنده خيول كثيرة، فأغتنى بها عن جلب خيول أخرى، وعمل على تهجين سلالاتها الأصلية، وكان يعرض عليه في كل سنة نتاج هذه الخيول، فيسلمها للركابين - السواس - من العربان لرياضتها، وكان الناصر يفرح بها عند عرضها عليه ويقول : هذه فلانة بنت فلانة أو فلان بن فلان، عمرها كذا، وشراء أمها كذا، وشراء أبيها كذا، وكان يوصى الأمراء بأنه يضمروا هذه الخيول<sup>(١)</sup> وكان يرتب لكل أمير من أمراء الألوفا أربعة خيول في كل سنة يضمروها<sup>(٢)</sup> ومن شد العناية بتلك الخيول كان يخشى عليها من الحسد، فكان يعلق بها خرز اشتمل على بعض آيات القرآن الكريم بغرض حراستها، مما جعل بعض المشايخ يفتون بأن ذلك بدعة<sup>(٣)</sup> كما بلغ من شدة حرصه على الخيول أنه منع ركوب الخيل للعامة، فيذكر أنه في عام ٧٥٥هـ / ١٣٥٣م كتب لجميع الولاة إلا يتركوا فرسا لبدوى ولا لفلاح سوى أرباب الأدراك، فإنه يترك لكل واحد منهم فرس، فركب الولاة إلى البلاد، وأخذوا ما بها من خيول، سيروها إلى اصطبل السلطان، وكان يعطى لصاحب الخيل ثمنه، فكثرت الخيول بالقاهرة<sup>(٤)</sup> كما يذكر أنه رسم للقضاة بركوب البغال والأكاديش<sup>(٥)</sup> كما عنى

(١) يضمم الخيل: أى يعمل على ترويضها وربطها وعلفها حتى تسمن، ثم يقلل من مائها وعلفها مدة، وركضها بعد ذلك حتى تخف أوزانها، ومدة التضمير عند العرب أربعون يوما (أنظر: المعجم الوجيز، ط ٢٠٠٠م، ص ٣٨٢)

(٢) المقرئى: السلوك، ج ٢ ق ٢ ص ٥٢٩.

(٣) السبكى: معيد النعم ومبيد النقم، دار الحداثة للطباعة، ط ٢، ١٩٨٥م، ص ١٤٤، لطفى نصار: وسائل الترفيه فى العصر المملوكى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩، ص ١٨٤.

(٤) المقرئى: السلوك، ج ٢ ق ٣ ص ٩١٤.

(٥) المقرئى: السلوك، ج ٢ ق ٣ ص ٩١٠، والأكديش هو الحيوان المهجن (الحصان غير الأصيل) ومن ثم لم يكن من مراكب الأمراء، بل كان مخصصا لمن كان دونهم، وكان يعادل الجياد الخاصة فى البلاد الواقعة شرقى مصر، ويستخدم للركوب والحمل (أنظر: ابن الصيرفى: نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشى، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٣م، ج ٤ ص ٣٦ هامش (٢)، محيط المحيط، لبنان، بيروت ١٩٩٣، ص ٧٧٣.

الناصر محمد بجمع الأغنام، وأقام لها خوله وكان يبعث في كل سنة الأمير (أقبغا عبد الواحد) في عده من المماليك السلطانية ليكشف المراحات<sup>(١)</sup> من قوص إلى الجيزة<sup>(٢)</sup> فأستقدم من بلاد الصعيد ألفى رأس من الضأن، ومن الوجه البحرى مثلها، ورسم بإقامة حوش من أجلها<sup>(٣)</sup>، ولم يكتف بذلك بل كان يرسل إلى عيذاب وبلاد النوبة لجلب الأصناف الممتازة من الغنم، فبلغت الأغنام عنده ثلاثين ألف رأس سوى أتباعها، واقتدى الأمراء به فصارت لهم أغنام كثيرة فى عامة أرض مصر قبلها وبحريها<sup>(٤)</sup> كما كان لديه من الهجن، والأصائل والنياق خمسة آلاف ونيف سوى أتباعها<sup>(٥)</sup>

أما المواشى فكانت تكثر فى صعيد مصر، واشتهرت قوص بالمواشى وذلك بسبب كثرة مراعيها وحقول القرط<sup>(٦)</sup> فكان الناصر محمد يحلب الكثير من البقر منها<sup>(٧)</sup>

ولذا فالناصر محمد كان من أكثر السلاطين المماليك اهتماماً وحباً للحيوانات والطيور، واقتدى كثير من سلاطين المماليك به، فيذكر أن السلطان الظاهر برقوق اهتم بالخيول اهتماماً عظيماً، وكان يجب اقتنائها هى والهجن<sup>(٨)</sup> ويذكر

(١) المراحات: من مَرَح ويقصد به لينة وأزال مرحة وشماسه (أنظر: المعجم الوجيز، ص ٥٧٧)

(٢) المقريزى: السلوك، ج ٢ ق ٢، ص ٥٣١

(٣) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٣٨م - ١٩٧٢م، ج ٩، ص ١١٩.

(٤) المقريزى: السلوك، ج ٢ ق ٢ ص ٥٣١، الخطط، ج ٢، ص ٢٢٩.

(٥) المقريزى: السلوك، ج ٢ ق ٢ ص ٥٣٠

(٦) إبراهيم عبد المنعم: جوانب من تاريخ مصر فى عصر الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، ص ٤٢٧

(٧) محمد جمال الدين سرور: دولة بنى قلاوون فى مصر، دار الفكر العربى ١٩٦٠م، ص ٢٩٤

(٨) ابن تغرى بردى: النجوم، ج ١٢، ص ١٠٨

ويذكر أنه توفي عن سبعة آلاف فرس وخمسة عشر ألف جمل<sup>(١)</sup>  
 كما اهتم سلاطين المماليك بالطيور وألوهها عناية خاصة، وبالأخص طيور  
 الصيد على اختلاف أنواعها، فكان الناصر محمد حريصا على جلب الجوارح من  
 الصقور، والشواهين، والسنافر، والبزاة، حتى الأمراء كان لدى كل منهم على الأقل  
 عشرة سناقر<sup>(٢)</sup> وترك الناصر محمد عند موته مائة وعشرين سنقرا، حيث لم يعهد مثل  
 مثل هذا لملك قبله بمصر، حيث كان فى الأيام المنصورية سنقر واحد، وترك من  
 الصقور والشواهين مما لا ينحصر عدة<sup>(٣)</sup>

وكذلك اهتموا بالطيور الداجنة، فقام الناصر محمد بتربية الأوز، وتوفير  
 الحظائر لهم، وإقامة عدد من الخدم والجوارى لخدمتهم<sup>(٤)</sup> واهتم كذلك بتربية الحمام،  
 حيث كانت تبنى لهم أبراج مستديرة الشكل فيها قواديس فخارية لتجذب إليها أعداداً  
 كبيرة من الحمام<sup>(٥)</sup>

وبلغ الحمام الرسائلى اهتماما كبيرا حيث كان يقوم بحمل المكاتبات ويعرف  
 (بالهدى) وتتنافس الناس على اقتنائه ولهجوا فى ذكره وبالغوا فى أثمانه، حتى بلغ ثمن  
 الطائر منها سبعمائة أو ألف دينار، وأفردوا له ديوانا خاصا وجرائد بأنساب الحمام<sup>(٦)</sup>

(١)المقرئزى : الخطط، ج ٢ ص ٢٢٥.

(٢)المقرئزى : السلوك، ج ٢ ق ٢ ص ٥٣٠

الشاهين: هو طائر من جوارح الطير، وهو من جنس الصقر (أنظر: المعجم الوجيز، ص ٣٥٤) أما  
 البزاه: البازى هو جنس من الصقور الصغيرة أو المتوسطة الحجم تميل أجنحتها إلى الصقور، وتميل  
 أرجلها وأذناها إلى الطول، ومن أنواعها الباشق والبيدق وجمعه (بواز - بزاه) (أنظر: المعجم  
 الوجيز، ص ٤٩)

(٣)المقرئزى : نفس المصدر، ج ٢ ق ٢ ص ٥٣١

(٤)المقرئزى : نفس المصدر، والصفحة.

(٥)إبراهيم عبد المنعم : جوانب من تاريخ مصر، ص ٤٢٨

(٦)القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، ج ١٤ ص ٢٣٤.

كما اهتم بعض السلاطين بطيور الزينة، للتمتع بجمالها ومناظرها الساحرة، فالسلطان الغورى كان يعلق فى بستانه الذى أنشأه تحت القلعة أقفاص بها طيور للزينة، ما بين هزارات<sup>(١)</sup> ومطوق، وبلابل وشحارير<sup>(٢)</sup> وقمارى<sup>(٣)</sup> وغير ذلك، وكان يطلق فى ذلك البستان بين الأشجار دجاجا حبشياً، وبطا صينياً، وحجلاً<sup>(٤)</sup> حتى صار هذا البستان جنة على الأرض<sup>(٥)</sup>

ولم يكن الأمراء أقل شغفاً بالحيوانات والطيور من السلاطين المماليك، ففي عام ٧٤٢هـ / ١٣٤١م وجد عند إبراهيم بن صابر مقدم دولة المماليك على تسعين حجرة فى الجشار، ومائة وعشرين بقرة فى الزرايب، ومائتى كبش، وجوقتين كلاب سلوقية، وعده طيور جوارح مع بزدارية<sup>(٦)</sup> ومما سبق يتضح لنا مدى عناية اهتمام سلاطين دولة المماليك بالحيوانات والطيور.

الأمكان المخصصة لتربية الحيوانات والطيور :

نظراً لاهتمام السلاطين بتربية الحيوانات والطيور، كان لابد من تواجد أماكن مخصصة لهم تلحق بالبيوت السلطانية، وقد تنوعت هذه الأماكن ما بين إصطبلات، وأحواش، ومناخات وغيرها.

(١)الهزارات هو طائر مغرد ( أنظر : المعجم الوجيز، ص ٦٤٩)

(٢)شحرور: طائر غريد من فصيلة الشحروريات ورتبة الجواشم المشرومات المناقير ذكره أسود، وأنتاه أعلاه أسمر وصدرها إلى حمرة، يصاد ويربى فى أقفاص لحسن صوته (أنظر: المعجم الوجيز، ص ٣٣٧)

(٣)قمارى : ضرب من الحمام المطوق وحسن الصوت ( أنظر : المعجم ص ٥١٥)

(٤)حجلا : طائر فى حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين طيب اللحم ( أنظر : المعجم، ص ١٣٧)

(٥)ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة ١٩٨٤، ج ٤ ص ١٧٢.

(٦)المقرىزى: السلوك، ج ٢ ق ٣ ص ٥٦٥

وكانت هذه الأماكن توفر بها ما يحتاجه الحيوان والطير من مأكّل ومشرب ومراحات، ووفر لها من العمال والخدم ما يلزم لنظافة تلك الأماكن، وتقديم ما يحتاجه الحيوان والطير من طعام وشراب، كما كان لتلك الأماكن إدارة خاصة يعمل بها عدد من الموظفين.

وفى مقدمة هذه الأماكن الاصطبلات السلطانية، وهى عبارة عن بناء مسقوف جيد التهوية، وامتسع جداً برسم الخيول السلطانية وكان مكانها داخل أسوار القلعة، وله حوش وباب يفتح ويغلق حسب الحاجة وعند الضرورة، وله ثريا توقد بالمقعد المظل عليه<sup>(١)</sup> ويوجد بالاصطبل حواصل الخيول والبغال، ومخازن الشعير والأفرط اليابسة المحمولة من البلاد<sup>(٢)</sup>

وانقسم الاصطبل السلطانى إلى أقسام عدة هى<sup>(٣)</sup>

- الاصطبل الخاص: وبه الخيول الخاصة بالسلطان والتي تسير فى مواكبه الرسمية.
- اصطبل الحجورة: وبه الخيول الخاصة بالرياضات المختلفة ولعب الكرة.
- اصطبل الجوق: وبه خيول المماليك التابعة للسلطان.
- اصطبل اليمارستان: وبه الخيول الضعيفة.
- اصطبل الجشار: وبه الخيول المهزمة التى حان أجلها.
- اصطبل البريد: وبه خيول البريد حيث يعتبر الظاهر ببيرس وهو أول من نظم له البريد وخصص له خيل<sup>(٤)</sup>

(١) ابن تغرى بردى: النجوم، ج ١٠ ص ٣٢، ابن شاهين: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق بولس راويس، باريس ١٨٩٤م، ص ١٢٥

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٧٦، المقريزى: الخطط، ج ٢ ص ١١٢

(٣) جمال الغيطانى: ملامح القاهرة فى الفى عام، كتاب الهلال، القاهرة ١٩٨٣م، ص ٤٦-٤٧، على إبراهيم حسن: دراسات فى تاريخ المماليك البحرية، القاهرة ١٩٤٨م، ص ١٦٧.

(٤) محمود رزق: عصر سلاطين ونتاجه العلمى والأدبى، مكتبة الآداب، ط ١، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م،



- اصطبيل البغال، والسباع، والفيلة وغيرها.

ويتبع هذا الاصطبل ( المناخات )<sup>(١)</sup> وهى من الأماكن المخصصة للجمال السلطانية، ومنها مناخ الجمال البخاتى<sup>(٢)</sup> ومناخ الهجن والنياق<sup>(٣)</sup> وكان عددها يفوق يفوق ويقصر عن الحصر<sup>(٤)</sup> كما كانت هناك أحواشاً بعيدة عن الاصطبل السلطانى، ففي عام ٧٢٢هـ أمر الناصر محمد بعمل أحواشاً للخيل والجمال فى بركة الحجاج، فكان بها نحو الألف جمل، ومائة زوج من البقر، وأنشأ بها ميداناً لنتاج الخيل وكانت تربي بها الأغنام التى تعلق بحب القطن، فبلغت الغاية فى السمنة حتى عندما كان يدخل بها القاهرة كانت تحمل على العجل لعظم جثتها. وثقلها وعجزها عن المشى، ويقال له كبش بركاوى، وقد وزن كبش من أكباش بركة الحجاج فبلغ وزنه خمس وسبعين رطلاً سوى الآلية<sup>(٥)</sup>

كما أقام الناصر محمد حوشاً بقلعة الجبل للأغنام، وجعل لها خوله فصارى من الأسرة، وبدأ العمل بهذا الحوش عام ٧٣٨هـ / ١٣٣٦م ومساحته أربعة فدادين، وأحضر إليه من الصعيد والوجه البحرى ألفى رأس غنم، وكثيراً من الأبقار البلق، فصار هذا الحوش مراح غنم ومرابط بقر، وأجرى إليه الماء من القلعة<sup>(٦)</sup> وجعل

١٩٦٥م، ج١ ص ٢٧ (أنظر: ابن تغرى بردى : النجوم، ص ١٤ ص ٥٠ هامش (٤)

(١) ابن شاهين : زبده كشف الممالك، ص ١٢٥.

(٢) البخاتى : هى الأبل الخراسانية ذات السنامين، وهى ضخمة، ووبرها أسود ويستعمل فى أسفار

الشتاء (أنظر : ابن تغرى بردى : النجوم، ج١٤، ص ٥٠ هامش (٤)

(٣) النياق : هى الأنثى من الأبل ( أنظر: المعجم الوجيز، ص ٦٤٠)

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى، ج٤ ص ١٧٦

(٥) المقرزى : الخطط، ج٢ ص ١٦٤

(٦) المقرزى: نفس المصدر، ج٢ ص ٣٧٢

بجانبا هذا الحوش حظيرة للأوز<sup>(١)</sup> وكان يحضر لها من البقل الأخضر الذى يشتري لفرأخ الأوز فى كل يوم خمسين ألف درهما، كما يذكر أن الناصر محمد بنى حظيرة بجوار قلعة الجبل وأجرى إليها الماء، وأنشأ فيها بيوتا للدواجن، وأخرى للأغنام والمواشى<sup>(٢)</sup>

كما كان هناك ميدان للمهارى بجوار قناطر السباع وزرع فيه النخيل، ورتب فيه مكانا للحجورة - الأنثى من الخيل - للنتاج، كما أنشأ بجوار جامع الأمير علاء الدين طيرس زربية وحظيرة للغنم<sup>(٣)</sup>.

وكان للطيور مطاعم خاصة من أشهرها مطعم الطير<sup>(٤)</sup> وكان هذا المكان مخصصا لتربية طيور الصيد وحفظها<sup>(٥)</sup>، وكان موقعة فريدا يتوسط حدود الصحراء والزراعات، فكانت تكثر بها الحيوانات والطيور البرية الشاردة، لذلك حرص السلاطين المماليك على الذهاب للاستمتاع بتلك المنطقة، ويكثر من الذهاب إليها فى بداية موسم الشتاء للصيد والرياضة والاستجمام فى ربوعها، فيتسلى السلطان برؤية ذلك المنظر<sup>(٦)</sup> وقد بنى الناصر محمد بها مصطبة<sup>(٧)</sup>، كما كان موضع مطعم الطير يمثل البوابة الشمالية للقاهرة، فكان السلاطين يستقبلون ضيوفهم بها، فيذكر أن برقوق

(١)المقرىزى: السلوك، ج ٢ ث ٢ ص ٥١٣

(٢)جمال سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر، ص ٢٩٤

(٣)المقرىزى : الخطط، ج ٢ ص ٣٠

(٤)مطعم الطير كان بقبة النصر خارج القاهرة، وقد حدده (ابن إياس) بأنه كان بالريديانية، ويذكر (ابن تغرى بردى) أنه كان واقعا فى الشمال الشرقى لخانقاه السلطان برقوق المعروف بتربة برقوق (أنظر: بدائع الزهور، ج ٢ ص ١٧٦، النجوم، ج ٢ ص ٢٩ هامش ٥)

(٥)ابن شاهين : زبده كشف الممالك، ص ١٢٦-١٢٧ هامش (٢)

(٦)ابن تغرى بردى: النجوم، ج ٩ ص ٢٩، حوادث الدهور، ج ٣ ص ٤١٦-٤٨٤.

(٧)ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٤ ص ٢٦٤

استقبل السلطان أحمد بن أويس سلطان العراق وفارس في ربيع الأول سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٤م وأجرى له مراسم استقبال رسمية بها<sup>(١)</sup>

وقد تبع الاصطبلات السلطانية ما يسمى بالأهراء السلطانية، وهي أماكن لتخزين الغلال والأتبان الخاصة للسلطان احتياطى لحدوث طوارئ اقتصادية تمر بها البلاد<sup>(٢)</sup> الوظائف المرتبطة بخدمة الحيوان والطير:

ارتبط بالاصطبلات السلطانية والمناخات والأحواش التابعة لها ومطاعم الطيور والحظائر عدداً كبيراً من الوظائف المتعلقة بالإشراف على تلك الأماكن المخصصة لتربية الحيوانات والطيور، حيث جعل لها السلطان نظارة خاصة بها تسمى (نظر الاصطبلات السلطانية) وهذه النظارة تهتم بالحديث في أموال الاصطبلات والمناخات، وعليها وأرزاق من فيها من المستخدمين، وما بها من الاستعمالات والإطلاق، وكل ما يتنازع لها أو يتنازع بها، وأول من استخدمت هذه النظارة هو السلطان الناصر محمد بن قلاوون<sup>(٣)</sup>

أما بالنسبة للإشراف على الاصطبلات كانت تقع تحت إمرة ما يسمى (أمير أخور)<sup>(٤)</sup> ومهمته الإشراف التام على اصطبل السلطان أو الأمير حيث يتولى أمر من

(١) ابن قاضى شهبة: تاريخ ابن قاضى شهبة، تحقيق عدنان درويش، دمشق ١٩٧٧م، ص ٥٠٤-٥٠٥، ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين، بيروت ١٩٣٦-١٩٣٨م، ج ٩ ص ٣٦٦، المقرئى: السلوك ج ٢ ص ٨٠٠.  
(٢) ابن شاهين: زبده كشف الممالك، ص ١٢٢-١٢٣.

(٣) الفلقشندى: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٣٢، المقرئى: الخطط، ج ٢ ص ٢٢٤-٢٦٥.

(٤) أمير أخور: لفظ فارسي معناه الأسطبل، والآخوري هو المشرف على إطعام الحيوانات في الحظيرة، ودخلت هذه الألفاظ منذ العصر الأيوبي ثم استمرت في العصر المملوكي، وقد أضيف إليها فيما بعد مرتبة شاغلها، وهو من كبار الأمراء، ففيل أمير أخور، ومعناها أمير العلف لأنه يتولى أمر الدواب وأهمها المعلق والعناية بالسروج والكنابيش والعربات الشريفة (انظر: الفلقشندى: صبح الأعشى، ج ٥ ص ٤٣٣، مصطفى عبدالكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، بيروت ط ١٩٩٦، ص ١٠، ٩).

من فيها من الخيل والإبل وغيرها مما هو داخل في حكم الاصطبلات<sup>(١)</sup> ويكون ساكناً بالإصطبل، ورتبة أمير الآخور عادة تكون مقدم ألف، ودونه ثلاثة من أمراء الطلخانات<sup>(٢)</sup>

ويتبع الأمير آخور عدة وظائف تقع تحت إمرته، لكل منهم دور يؤديه فيما يختص بالقيام بخدمة الحيوانات التي بالإصطبلات السلطانية<sup>(٣)</sup> وهذه الوظائف هي: الجشارية<sup>(٤)</sup>

يهتم صاحب هذه الوظيفة بالخروج بالدواب إلى المراعى حيث يبيتون أماكنهم، ولا يرجعون إلى أهليهم<sup>(٥)</sup> وكان السلطان المملوكى عندما يتفقد خيوله، فإذا وجد فرسا مصابا أو كبر سنه بعثه إلى الجشار، ويأمر بضبط تاريخ نزوله<sup>(٦)</sup> الأوجاقية (الأوشاقية)

الأوجاقى كان يسمى ( جفتاوات) ويكونون فى خدمة خيل السلطان التى كان لها قسم خاص من الاصطبل السلطانى يعرف بإصطبل الجور، وهى خاصة بلعب الكرة والرياضيات المختلفة<sup>(٧)</sup> السراخورية :

مهمته التحدث عن الدواب من الخيل وغيرها، وهذه الوظيفة مركبة من لفظين فارسيتين أحدهما (سرا)بمعنى الكبير، والثانية(خور) بمعنى المعلف، ويكون المعنى

(١)القلقشندى : نفس المصدر، ج ٥ ص ٤٣٣، السبكي : معيد النعم، ص ٣٧.

(٢)القلقشندى: نفس المصدر، ج ٤ ص ٢٩٨

(٣) ابن شاهين : زبده كشف الممالك، ص ١٣٦

(٤)الجشار: هو مرج الخيل، والجشر إخراج الدواب للرعى( أنظر: لسان العرب، ص ٦٢٦)

(٥)المقريزى: السلوك، ج ٣ ص ٣٠٤

(٦)المقريزى: نفس المصدر، ج ٢ ق ٣ ص ٧١٤

(٧)على إبراهيم حسن : دراسات فى تاريخ المماليك البحرية، ص ١٦٧.

كبير المعلف، والمراد به كبير الجماعة الذين يتولون علف الدواب، وكان يطلق عليه (سراخورى) <sup>(١)</sup>  
السواس ( سائس الدواب):

ويشترط فى السائس أن يكون مرمى بين الاسطاوات وله معرفة بآداب الجماعات وما يكون من تحية دخوله عليهم بالطريقة والأركان <sup>(٢)</sup> ولكل عشرين رجلا من السواس عريف يلتزم دركهم بالغلمان لأنهم هم الذين يستلمون من خزائن السروج المركبات بالحلى ويعيدونها إليها <sup>(٣)</sup> ولكل ثلاثة رؤوس من الدواب سائس، ولكل واحد منها شداد برسم تسييرها <sup>(٤)</sup>  
الاسطاوات :

الأسطى يخرج من بين صفوف السواس <sup>(٥)</sup> ويجب عليه أن يكون عارفا بسياسة الخيل، وهى معرفة الأصيل منها والخسيس <sup>(٦)</sup>  
البياطرة : (٧)

وهم الذين يتولون علاج الدواب إذا ألم بهم مرض أو داء، ولهم خبرة فى طريقة إعطاء الدواء للدواب، ولذا فإن البيطار <sup>(٨)</sup> فى مخطوطته (كامل الصناعتين)

(١) القلقشندى: نفس المصدر، ج ٥ ص ٤٦٠-٤٦١

(٢) نبيل محمد : الخيل ورياضتها، ص ١٢٢-١٢٣

(٣) المقريزى : الخطط، ج ٢ ص ١١٢

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى، ج ٤ ص ١٧٦

(٥) السبكي : معيد النعم، ص ١٤٤

(٦) الفتى قنبر : الخيل والأدوية وطريقة اسطواتهم وسياساتهم، مخطوطة بدار الكتب المصرية، رقم ٤٢٢٠ طب خليل أغا، ورقة ٦، ٧.

(٧) البيطرة: هو على يبحث فيه من أحوال الخيل من جهة ما يصلح ويمرض ويحفظ صحته ويزول ويزول مرضه، وهذا فى الخيل بمنزلة الطب فى الإنسان (أنظر: حاجى خليفة: كشف الظنون على أسامى الكتب والفنون، تحقيق محمد شرف الدين، بيروت، دار العلوم الحديثة، ج ١ ص ٢٦٥).

(٨) أنظر: كامل الصناعتين، مخطوط بدار الكتب المصرية، ورقة ٥، ٤ ومن هذه الوصايا:

المعروف ( بالناصرى فى البيطرة والزرطقة) يذكر الكثير من الوصايا المتعلقة بالبيطرة.  
كتاب الأصطبل:-

وظيفة كاتب الإصطبل أن يؤرخ أسماء الخيل وشياتها، وأوقات ورودها وأسماء أربابها، ومبلغ أثمانها، ومعرفة سواستها، والحجرة التى ينزل بها الخيل<sup>(١)</sup> وقد بلغ بعض كتاب الاصطبل منزلة عظيمة فى الدولة المملوكية مثل (ابن زنبور) فى عهد الناصر محمد حيث نال من مباشرة الاصطبل سعادة طائلة<sup>(٢)</sup>

ويتبع الإصطبلات السلطانية إدارة خاصة عرفت باسم (الركاب خاناه) ومعناها بيت الركاب، وتشتمل على عدد الخيل من السروج واللجم والكنابيش، وغير ذلك من نفائس العدد والمراكيب والأجلال والمخالى وغير ذلك، وفيها من السروج المغشاة بالذهب والفضة المطلية السانجة، والكنابين المتخذة من الذهب المزركش المزهرة بالريش وغير المزهرة، حتى أنها كانت تحتوى على ما يكفى لتجهيز ثلاثة آلاف فرس بشكل كامل، وبها العبي المنسوخة من الحرير وصوف السهك، وغير ذلك من نفائس العدد ما يحير العقول ويدهش البصر مما لا يقدر عليه إلا عظماء

- ١- أن يحسنوا لمعلمهم ويحسنوا مكافآتهم ويشكروهم على تعليمهم بالإحسان إليهم .
- ٢- إذا استشهد أحدهم فى حديث حيوان شهد بالحق من غير مراعاة ولا طلب ذنبا، فإذا ما رأى صاحب حيوان فقير وصف له ما يصلح له من غير أن يأخذ شيئا.
- ٣- أن يكون عارفاً بفصول السنة والأدوية حتى لا يعطى للخيل دواء حار فى فصل حار ولا دواء بارد فى فصل بارد ولا يكحله بكحل حار فى الصيف.
- ٤- أن يكون عالماً بصفات الجراحات وأشكالها عالماً بالأدوية التى يستعملها فى الأمراض وقواها وخزاج الأمراض التى يستعمله.
- ٥- أن يكون عالماً بمقدار الدم الذى يخرج من النواظر بسبب الاحتلاج وفساد الدماغ والصداع والحمى.

(١)المقريزى: السلوك، ج ٢ ق ٣ ص ٧١٤، الخطط، ج ٢ ص ٢٢٥.

(٢)المقريزى: السلوك، ج ٢ ق ٣ ص ٨٨١

الملوك، ولها (مهتار) متسلم لحواصلها يسمى (مهتار الركاب خاناه) <sup>(١)</sup> وتحت يده رجال لمعاونته هم الركابدارية، والسنجق دارية، والمهمزدارية والغلمان <sup>(٢)</sup> فوظيفة الركابدارية <sup>(٣)</sup>

هى تأديب المهارة وركوبها، وأول ما يجب عليه أن يكون الركاب عليه أن يكون عارفاً حاذقاً يصير إليه طبيعة الدواب من اللين والخشونة، والذل والصعوبة، والخفة وقوة النفس، ومهابتها والحركة والسكون فى المواضع التى تنفع وتضر، والزيادة والنقصان، وكل دابة وما يصلح لها من الفنون، وما يحتاج إليه الفارس والملك وصاحب السفر والتاجر. وصاحب الحوائج، وما يحتاج إليه المدينة والأزقة، ويدريه على الرجول فى الأزقة والأسواق وبين الحمامات، ويعوده على الدخول فى البحر ومجارى الماء، والوقوف عند الطبلخانات، ونظر الأشياء المهولة كالفيل والأسد والزراف والإبل، ولا ينبغي فى كل وقت ضربه بالسوط، ويحكم الراكب له ركوبه عليه بثباب رجليه فى الركاب، والزام فخذه السرج، وإمساك الفناق ومدّه من جميع النواحي بأنواع المد والمسك والشدة واللين فى جميع الحركات على ظهره، فإن الراكب إن يحتاج أن يميل أن يميل يمنة ويسرة أو إلى ما بين يديه أو خلفه، ويذكر أن أفضل الأوقات التى يركب فيها للتأديب سحرًا فى إقبال النهار وفى آخر الليل <sup>(٤)</sup>

(١) القلقشندى: صبح الأعشى، ج ٤ ص ٢٨٧

(٢) إبراهيم طرخان: مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، ص ٣١١

(٣) الركبادارية : يحملون الغاشية بين يدي السلطان فى الموكب الحافلة، والغاشية هى سرج من أديم مخزوزه بالذهب ( أنظر: القلقشندى : صبح الأعشى، ج ٤ ص ٧٠٢)

(٤) أنظر بالتفصيل عن ذلك الموضوع عند ابن البيطار فى مخطوطته كامل الصناعتين.

أما السنجق دارية، فهو الذى يحمل الراية خلف السلطان أو الأمير، وهذا اللقب مكون من لفظين هما (دار) بمعنى ممسك، والسنجق بمعنى الرمح أو اللواء أو العلم<sup>(١)</sup>

والهمز دارية: ووظيفته ربما تنقسم إلى قسمين الأولى الاهتمام بالآلة الحديدية التى تكون فى رجل الفرس وهى محددة الرأس، والوظيفة الأخرى هو الذى يحفظ قماش الموظفين العاملين بالإصطبل، ومعناه بالفارسية الرجل الكبير<sup>(٢)</sup>

أما الغلمان: منهم الخدام الذين يتصدون لخدمة الخيل، ويقصد به الصبي الصغير المملوك، ثم غلب على هذا النوع من أرباب الخدم، وكأنهم سموه بذلك لصغره فى النفوس<sup>(٣)</sup>

أما بالنسبة للوظائف المتعلقة بالإشراف على الطيور، فإن المشرف على مطاعم الطيور وحظائرها يسمى (أمير شكار) وهذا المشرف يتحدث عن الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها على سائر أمور الصيد<sup>(٤)</sup> ويتحدث عن سائر الطيور وأحواشها، ورتبة هذا الأمير أمير عشرة، وأحيانا تكون رتبته من أمراء المئتين ثم صار يختار من أمراء الطبخانة<sup>(٥)</sup> والأمير شكار هو الأمير المعنى بأمر الصيد فكان إذا خرج السلطان للصيد تصحبه جماعة خاصة على رأسها هذا الأمير للإشراف على الجوارح السلطانية والعناية بأمرها فضلا عن مباشرة أمور الصيد، ويتبع الأمير شكار عدة من الموظفين المكلفين لخدمة الطيور، ومن هذه الوظائف.

(١) محمد أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان ١٤١٠هـ / ١٩٩٠، ص ٩٣.

(٢) محمد أحمد دهمان : نفس المصدر، ص ١٤٦-١٤٧.

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى، ج ٥ ص ٤٧١.

(٤) القلقشندى : نفس المصدر، ج ٤، ص ٢٢، السبكي : معيد النعم، ص ٣٧

(٥) ابن تغرى بردى: النجوم، ج ٤، ص ٨١٦



## البازدارية ( البازدارة ) :

وهم الذين يحملون الجوارح المعدة للصيد، ويرأسهم البازدار، وكان البازداريون يتصدرون المواكب حاملين بأيديهم صقوراً تتقض كالصواعق على كل صيد ثمين تراه أمامها بمخالبتها الحادة، وتنسب هذه الطائفة إلى الباز وهو من أهم الطيور الضارية التي كان العرب يستخدمونها في صيدهم<sup>(١)</sup> الجواندارية:

مفرد هذا اللفظ ( جواندار ) وتعنى حيوان دار، وهو المكلف بخدمة طيور الصيد من الكراكي والبلشونات، وحملها إلى موضع تعليم الطيور والجوارح<sup>(٢)</sup> الكلابزية:

وهو الشخص الذى يركب بكلاب الصيد عند السلطان<sup>(٣)</sup> وكان عدد الكلابزية كثير جداً حتى أصبحوا طوائف متعددة، وبلغوا فى عهد الناصر محمد ثمانين جوقة كلاب للصيد<sup>(٤)</sup>

## حارس الطير ( كاشف الطير ) :-

مهمته الإشراف على أماكن نزول الطيور المزمع صيدها ومراقبة تلك الطيور حتى تستقر فى مكان تألفه، ويحظر على الناس القرب منها أو التعرض لها، وكان صاحب هذه الوظيفة يختار من بين أمراء العشرات<sup>(٥)</sup> الطعمدارية:

(١) القلقشندى : صبح الأعشى، ج ٤ ص ٤٦٩

(٢) القلقشندى : نفس المصدر، ج ٤ ص ٤٧٠ هامش (٢)

(٣) المقرئى: السلوك، ج ٢ ص ٢٢٥ هامش (١)

(٤) المقرئى: السلوك، ج ٢ ص ٥٣١

(٥) القلقشندى : نفس المصدر، ج ٤ ص ٣٠٤

وهم الذين يقومون بتقديم الطعام المناسب لكل طير الأسواق المرتبطة بالحيوان والطيور.

### الأسواق المرتبطة بالحيوان والطيور :

ارتبط بالحيوان والطيور في العصر المملوكى عدة أسواق تباع فيها الحيوانات والطيور وما يستلزم كل منها، ومن أهم هذه الأسواق (سوق الخيل)، وكان هذا السوق يقع تحت قلعة الجبل وبطل على الإصطبل<sup>(١)</sup> وكان لهذا السوق دلالين، ومما يؤكد ذلك أن فى عام (١٢٦٣هـ/١٢٦٣م) قام الأمير بهاء الدين أمير آخور بضرب بعض دلالي سوق الخيل لكثرة تعسفهم<sup>(٢)</sup> وفى سوق الخيل كانت تنتقى الخيول بواسطة ذوى الخبرة من الفاحصين الذين كانوا يطلبون التحديق لاختيارها وفحصها، وكان للتقرس قواعد تراعى عند الاختيار فلا بد أن ينظر إلى الفرس فى جميع حالاته خاصة عند الجرى، والفرس الجيد يعرف من شدة نفسه، وحدة نظره، وصغر كعبيه، ورقة جحافله، وقصر ساقيه، وقلة التوائه، ولين التفاته، وإذا قيس ما بين آثار قوائمه وقت جريه كانت المسافة ست أذرع يكون الفرس سباقا، وإذا كانت المسافة أربعة أذرع أو ثلاثة فهو بطئ، كما يجب أن يكون سهيله صافيا فإن ذلك دليل على صحة الرئتين، وكذا علامات أخرى عديدة كان المتفرسون يعرفونها<sup>(٣)</sup> وارتبط بسوق الخيل أسواق أخرى مكملة من أشهرها سوق المهامزين كان وهذا معدا لبيع المهاميز، وكانت تصنع من الفضة أو الذهب الخالص، ولا يترك ذلك إلا من متورع أو متدين، وكان يباع بهذا السوق البدلات الفضة التى كانت برسم لجم الخيل، وكانت تصنع تارة من الفضة

(١)المقرىزى:السلوك، ج٣ ص ٣٨٦، ويذكر أن سوق الخيل هو الرميلى وبطابق حاليا القضاء الواقع أمام مسجد السلطان وجامع المحمودية والقلعة ومبنى شرطة الخليفة. ( أنظر: ابن تغرى بردى: النجوم، ج٤ ص ٢١٢ هامش (١).

(٢)المقرىزى:السلوك، ج١ ص ٥٠١

(٣)لطفى نصار: وسائل الترفيه، ص ٢٦٢

المجراه بالمينا، وتارة بالفضة المطلية بالذهب، ويبلغ وزنها في البدلة خمسمائة درهم فضة، ويبيع بها أيضا سلاسل الفضة ومخاطم الفضة المطلية وتجعل تحت لجم الحجور من الخيل خاصة، فيركب بها الأعيان وأكابر الكتاب، ورؤساء التجار، وكان تجار هذا السوق من بياض العامة<sup>(١)</sup>

كما كان هناك سوقا يسمى ( سوق اللجميين ) ويبيع فيه آلات اللجم ونحوها مما يصنع من الجلد، وبه عدة صناعات من الطلائين، وصناعات الكفت برسم اللجم والركب والمهاميز، ومن صناعات مياتر السروج وقربيسها<sup>(٢)</sup> وكانت هذه السروج تلون ما بين الأصفر والأزرق ومنها ما يعمل من الدبل، ومنها ما يعمل سيورا من الجلد البلغارى الأسود، وكان القضاة ومشايخ العلم يركبون هذه السروج السوداء اقتداء بعادة بنى العباس، أما السروج التى للأجناد والكتاب تعمل للسرج فى قربوسة ستة أطواق من الفضة مقبلة مطلية بالذهب ومعقربات من فضة، وكثير ذلك فى عهد السلطان برقوق، وكان لا يكاد أحد يركب فرسا بسرج ساذج إلا من كان من القضاة ومشايخ العلم وأهل الورع<sup>(٣)</sup>

كما كان يوجد أسواقا للجوخيين، وهو معد لبيع الجوخ المجلوب، من بلاد الفرنج لعمل المقاعد والستائر وثياب السروج وغواشيها<sup>(٤)</sup> وتذكر المصادر وجود سوق للجماليين، وكان بالقرب من جامع الحاكم<sup>(٥)</sup> كما

(١)المقريزى: الخطط، ج ٣ ص ١٥٨

(٢)القربوس هو : الجزء المرتفع المقوس من السرج ( أنظر : المعجم الوجيز، ص ٤٩٥ )

(٣)المقريزى:الخطط، ج ٣ ص ١٥٩، قاسم عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك (التاريخ السياسى والاجتماعى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ط ١، ١٩٩٨، ص ٢٢٥، جمال سرور: دولة بنى قلاوون فى مصر، ص ٣٠٠-٣٠١.

(٤)المقريزى:الخطط، ج ٣ ص ١٥٩ هامش (٣)

(٥)سرور : دولة بنى قلاوون، ص ٣٢٤

كان هناك سوقا للغنم وكان له شاد<sup>(١)</sup>

أما ما يخص الطير، فكان لها سوقا يسمى ( سوق الدجاجين) وكان يباع به الدجاج والأوز، وكان به حوانيت لبيع العصافير حيث كان يشتريها الولدان ليعتقوها، ويبيع بها أيضا أنواع مختلفة من طيور الزينة، وكان يوم الجمعة هو اليوم الرئيسي لبيع أصناف مختلفة منها مثل القمارى والهزرات والشحارير والبغاء والسمان، وكان السمان يبلغ ثمن المئات من الدراهم، وكذلك بقية طيور المسموع يبلغ الواحد منها الآلف درهم لتنافس الناس عليها، وتوفر عدة المعتنين بها وكان يقال لهم ( غواه طيور المسموع)<sup>(٢)</sup>

الرياضات المرتبطة بالحيوان والطيور :-

مما لاشك فيه أن هناك رياضات عدة ارتبطت بالحيوانات والطيور، ومثلت جزءا هاما في حياة المماليك الترفيهية، خاصة وأن الرياضة مثلت جانبا مهما في حياة السلاطين والأمراء، وكانوا يمارسونها في الطباق – المدارس الحربية – وأصبحت الرياضة وسيلة هامة من وسائل التسلية في حياتهم، وأخذت أشكالا متعددة منها ما هو آتى :

الفروسية :

من أهم الرياضات التي ارتبطت بالخيل هي رياضة الفروسية، وكانت من الرياضات الهامة التي لا يمكن لمملوك أن يتجاهلها أو لا يمارسها وساعد على ذلك تلك النشأة العسكرية للمماليك، وكانت الفروسية من الرياضات المميزة لهم، تعتمد هذه الرياضة على الفارس والفرس، فقد شغف المماليك بالخيل، وبذلوا الكثير من الأموال في جلب الخيول الأصلية، وتوفير الاصطبلات الخاصة بها، وقد بلغ من عناية

(١)المقریزی : السلوك، ج ٢ ص ٣٨١

(٢)المقریزی:الخطط، ج ٣ ص ١٥٦، قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك ص ٢٢٣.

السلاطين بهذه الخيول أنهم منعوا غير العسكريين من ركوبها واستخدامها<sup>(١)</sup> فيذكر أنه في ذى القعدة عام ٧٩١ هـ / ١٣٨٩م في عهد المنصور حاجي نودى بالقاهرة ومصر أن أحداً من المتعممين لا يركب فرسا سوى الوزير وكاتب السر وناظر الخاص، والباقي يركبون بغالا، وأن الطحانيين لا يترك عندهم فرسا صحيحا سالما، ولا يركب الخيل أيضا فقيه ولا جندار ولا أحد من العوام<sup>(٢)</sup>.

وتعليم الفروسية شملت أنواع أخرى من الرياضات المرتبطة بها مثل المهارة في ركوب الخيل، واللعب بالرمح، والضرب بالسيف، وسوق البرجاس والمحمل، ولعب الصولجان، واستعمال الدبوس، والمران على المصارعة، وسباق الخيل، ويتم تعليم المملوك هذه الرياضات على أيدي معلمين متخصصين<sup>(٣)</sup> وهناك إشارات متعددة إلى هؤلاء المعلمين الذين كان يطلق عليهم لفظ (معلم) أو (أستاذ) أو (رأس) ومن هؤلاء الأمير سيف الدين سودون بن عبد الله الظاهري الأمير آخور المعروف بسودون طاز (ت ٨٠٥هـ/١٤٠٣م) كان رأسا في لعب الرمح أستاذ في فن الفروسية كان يضرب بقوة طعنة وشدة ثباته على فرسه المثل، وأما سرعة حركته وحسن تسريجه لفرسه في ميادين اللعب بالرمح، وأخذ عنه فن الرمح الأمير آقبغا التمرزي، والأمير كزل السودوني المعلم، والأمير قجق المعلم رأس نوية وغيرهم<sup>(٤)</sup>، كذا الأمير قرقماش المحمدي الظاهري المعروف بالمعلم، وكان أحد أمراء العشرات وكان عارفا بفنون الرمح علامة في ذلك<sup>(٥)</sup>.

(١) الفلقشندی : صبح الأعشى، ج ١ ص ٤١ .

(٢) المقریزی : السلوك، ج ٢ ص ٩١٤ .

(٣) ابن حجر: أنباء العمر بأبناء العمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، ج ٣ ص ٣٤ .

(٤) ابن تغرى بردی : النجوم، ج ١٤ ص ١٦٥ .

(٥) السخاوی: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار الحياة، لبنان (د. ت)، ج ٣ ص ٢٨٠ .

## الرماية والرماحة :-

ومن الألعاب المتصلة بالفروسية لعبة الرماية والرمح وغيره، فقد كان السلطان الظاهر بيبرس ماهراً فى رمى السهام حتى إنه عام ٦٦٦هـ / ١٢٦٩م احتفل برمى النشاب ولعب الرمح، ونزل إلى المصطبة، فكان يرمى ويحرص على الرمى والنضال فما بقى أمير ولا مملوك إلا وقد شغله هذا، وأقبل الناس على الرمح ورمى النشاب<sup>(١)</sup> وكان بيبرس يقوم بعمل النشاب بنفسه، ويقوم بنحتها وريشها وفصلها، واقتدى به الأمراء والخواص<sup>(٢)</sup>.

أما الملك المنصور حسام لاجين كان موصوفاً بالفروسية "مقدما على أقرانه فيها وفى أعمالها، وكان يلعب بالرمح، ويرمى بالنشاب فى غاية الإتقان"<sup>(٣)</sup> وكان ممن برع فى الفروسية أيضاً أنص بين الملك العادل كتبغا حتى صار أوجد عصره فيه، "ويقال أنه رمى على قوس زنه مائة وثمانين رطلاً"<sup>(٤)</sup> ومهر السلطان الظاهر برقوق فى الفروسية وخاصة فى رياضة رمى الرمح، وفى ربيع الأول عام ٧٨٠هـ / ١٣٧٨م بدأ اللعب بالرمح وألزم المماليك بذلك. وفى ربيع الآخر من نفس العام لعب مع بعض مماليكه الجلبان فأشيع أن السلطان أثناء لعبه مع مماليكه أصيب فى جفنه عينه الأعلى.

أما السلطان المؤيد شيخ كان أحسن الرماة، وإن ذكر الرماحين فهو أحملهم

(١) المقرئى : السلوك، ج ١ ص ٥١٨ .

Stanley Lane – Poole, A History of Egypt in the Middle Age P. 250 – 252.

(٢) ابن تغى بردى : النجوم، ج ٧ ص ١٦٤ .

(٣) العينى: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد أمين، الهيئة المصرية للكتاب،

١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ج ٣ ص ٤٣٢ .

(٤) المقرئى : السلوك، ج ١ ص ٩٤٧ .

وإن ذكر السياقين فهو أقواهم وأعدلهم<sup>(١)</sup>، وكان المؤيد شيخ يشجع على لعب الرمح، ففي عام ٨٢٣هـ / ١٤٢١م نزل السلطان من القلعة إلى الميدان لعرض المماليك الرماحية، فتوجه إليهم وجلس، ولعبت المماليك بالرمح بين يديه مخاصمة، ولعب حتى المعلمين فجعل لكل معلم خصما مثله، ولعبا بين يديه فوق بين الرماحة أمور ومخاصمات وأبدوا منها غرائب في فنونهم " كل ذلك لمعرفة الملك بهذا الشأن ومحبتة لأرباب الكمالات في كل فن، ولما انتهوا أنعم عليهم"<sup>(٢)</sup>.

أما الملك الظاهر أبو سعيد تمريرا فقد حذق في صناعة القسي الفائقة بيده وعمل السهام، وكان يرمى بها أحسن رمى مع الفروسية التامة، وانتهى إليه رئاسة الرمي في زمانه وله اليد الطولى في فن الرمح وتعليمه، وفن اللجام والمهامة<sup>(٣)</sup> وكان الأشرف قايتباي يحرص على تعليم الفروسية لفئات كثيرة من شعبه وليس المماليك فقط، ففي عام ٨٧٣هـ / ١٤٦٩م أوقف صرف الجوامك التي كانت توزع على الناس وجماعة من الفقهاء والمتعلمين وأحضر إليهم بقوس ثقيل ومع نشابه طومار وامتنح هؤلاء فكان من لا يقدر بسحب ذلك القوس يقطع جامكته<sup>(٤)</sup> وقد حضر ابن تغرى بردى هذه الامتحانات، ففي صفر ٨٧٧هـ / ١٤٧٣م عرض السلطان أولاد الناس، وأمرهم بلعب الرمح بين يديه حتى يمتحنهم في ذلك، فحصل للناس غاية من المشقة لأجل ذلك، ووبخ منهم جماعة بالكلام<sup>(٥)</sup>.

وفي عهد السلطان قانصوه الغورى أصبح لألعاب الفروسية شأن كبير بكل

(١) العيني : السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودى، تحقيق فهم محمد شلتوت، مراجعة محمد مصطفى زيادة، دار الكتب، القاهرة ١٩٩٨، ص ٢٣٣ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم، ج ١٤ ص ١٠١ .

(٣) ابن تغرى بردى : نفس المصدر، ج ١٦ ص ٣٧٤ .

(٤) ابن إياس : بدائع الزهور، ج ٣ ص ٢٠ .

(٥) ابن إياس : نفس المصدر، ج ٣ ص ٧٥ .

أنواعها فقد تكرر عرض الرماحة<sup>(١)</sup> أمام السلطان فى مواضع متعددة وبحضور قصادة، وكأنه كان بذلك يستعرض قوة فرسانه ويظهر عظمة ملكة، وكان السلطان ينعم على فرسانه بالمال والخلع، فيذكر ابن إياس ذلك فى حوادث ٩٠٩هـ / ١٥٠٤م حيث خرجت الرماحة المعينون للعب الرمح، فلعبوا عند زاوية الشيخ أبى العباس "وجلس السلطان فى المقعد الذى أنشأه فى الميدان، ورسم للرماحة بأن يسوقوا أمامه فى الميدان، فساقوا وهو جالس وحوله الأمراء، فلما ساقوا عيبت عليهم المماليك القرافصة، وخطأوهم فى طريقة لعب الرمح عما كان يفعله الأقدمون"<sup>(٢)</sup> وكان الغورى كثير الاهتمام بالرماحة وانفق عليهم بسخاء وبنى لهم مبان خاصة بهم بميدان القلعة، حيث كانوا يقومون بتدريباتهم بها وكثيرا ما استخدمهم فى مناسبات كثيرة ولاسيما عند وجود ضيوف أو سفراء فيقومون بألعابهم على سبيل التسلية<sup>(٣)</sup>.

وقد ارتبطت ألعاب الفروسية ببعض المناسبات والمواكب، حيث يلعب فيها تلك الألعاب منها دوران المحمل - خروج المحمل بالكسوة الشريفة وكسوه مقام إبراهيم عليه السلام لتحيته والحفاوة به وإعلان الناس بقرب موسم الحج، وأول من أحدث تلك الألعاب فى المحمل وكسوة الكعبة هو الظاهر بيبرس<sup>(٤)</sup> وأقام السلاطين المماليك لهذه الألعاب ميادين فسيحة لتكون بمثابة ملاعب كبرى يمارس فيها رياضتهم المفضلة، فأقام بيبرس عام ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م ميدانا خارج باب النصر سمي بالميدان الأسود أو

(١) الرماحة: فئة من الجند يبلغون أربعين يلبسون ملابس حمراء ويقومون بألعاب الفروسية بالرمح على خيولهم وكان لها معلمون. (أنظر: ابن تقي بردي: النجوم، ج ١٤ ص ٨٦).

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٤ ص ٤٦، ٦٠، ١٠٣، ١٢٤، ١٣٠، ١٤٥.

(٣) محمود رزق سليم: الأشرف قانصوه الغورى، ص ١٨٢.

(٤) محمد الششتاوى: متنزهات القاهرة فى العصرين المملوكى والعثمانى، دار الآفاق العربية، ط١، ١٩٤١هـ / ١٩٩٩م ص ٣٠٢.



الأخضر<sup>(١)</sup> وأنشأ الناصر محمد ميدانا بسرجة سرياقوس<sup>(٢)</sup> واستحدث المؤيد شيخ بالقلعة مكانا لرمى النشاب وعرف بمرمى النشاب<sup>(٣)</sup>.  
لعبة القبق<sup>(٤)</sup>.

ارتبطت هذه اللعبة بالخيل، حيث يشترط فى الفارس الذى يلعب تلك اللعبة التنقيط والسوق، وهو سوق الفرس قليلا، أو الجرى الشديد والرمى أثناء الجريان والجولان لاسيما عند اشتداد جرى الفرس إلى آخر الشوط بالميدان<sup>(٥)</sup>.  
ويشترط فى لاعب القبق أن يتخذ فرسا مدريا، وأن يعود الرامى على دخول القبق قبل الرمى فيروضة على الجرى والدخول نحو الخشبة والعلامة مرات حتى يرى الفرس ذلك ويعرفه، وكان الظاهر ببيرس يلعب القبق فى ميدان العيد (الأسود) تحت القلعة، وكان ينعم على مماليكه الذين أصابوا القبق بفرس من الجنائب الخاص بسرجه ولجامه وتشاهيرة بالمروات الفضة<sup>(٦)</sup>، وكذلك كان الشرف قانصوه الغورى يشجع تلك

(١) المقرئى: الخطط ج ١ ص ٥٧٣، عاشور: الظاهر ببيرس، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠١م ص ١٩٣.

(٢) عاشور: مصر فى عصر دولة المماليك، ص ١٣٠.

(٣) ابن تغرى بردى: النجوم، ج ١٤ ص ١١٢.

(٤) لعبة القبق: تفصيل هذه اللعبة أن تنصب خشبه عالية فى ميدان اللعب ويعمل بأعلاها دائرة من خشب وتقف الرماة بقسيها وترمى بالسهم جوف الدائرة لكى تمر داخلها إلى هدف معين، وذلك تمرينا لهم على إحكام الرمى، وأحيانا يكون بدل من الدائرة شكل قرعة عسليه من فضه أو ذهب، ويكون فى القرعة طير حمام ثم يأتى اللاعبون للمباراة فى الرمى بالنشاب أو السهم من على ظهور الخيل ومن أصاب القرعة أو اطار الحمام حاز السبق وأخذ القرعة المعدنية نفسها (انظر: السلوك، ج ١، ص ٥١٨ حاشية "٦").

(٥) المقرئى: السلوك، ج ٢ ص ٥٢٩.

(٦) محمد جمال الدين سرور: دولة الظاهر ببيرس فى مصر، دار الفكر العربى ١٩٦٠م، ص ٦٤٠.

اللعبة ويقبل عليها<sup>(١)</sup> وكثيرا ما تنتهى أمر لعبة القبق إلى الطعان بالرمح أو الدبابيس أو السيوف فينقسم اللاعبون إلى فريقين عقب لعبة القبق ويأخذون فى المباراة والطعان فلا يرى الناس إلا سيوفا تبرق<sup>(٢)</sup>.  
لعبة الكرة<sup>(٣)</sup> :

من الألعاب المرتبطة بالفروسية، وقد شغف بها السلاطين أو الأمراء ووضعوا لها نظاما خاصا، وحددوا أوقات لها وحفلات تلعب فيها، ولذا أعد سلاطين المماليك لهذه اللعبة ما يلزمها من خيول خاصة وأدوات وخصصوا لها موظفين من المماليك يشرفون عليها يسمى الواحد منهم جوكندار أى الذى يحمل الجو كان، وهى عصا مدهونة طولها أربعة أذرع ورأسها خشبية مخروطية محدود به تتيّف على نصف ذراع<sup>(٤)</sup>، كما حرص المماليك على إنشاء ميادين خاصة للعبة مثل الميدان الظاهرى الذى أنشأه الظاهر بيبرس بطرف أرض اللوق<sup>(٥)</sup>، ومازال ملعبا للكرة لمن أتى بعده من ملوك مصر، والميدان الناصرى الذى أنشأه الناصر محمد فى أرض بستان الخشاب، وكان يركب دائما إليه أيام السبت، وميدان القلعة<sup>(٦)</sup> وغيرها من الميادين .

(١) محمود رزق سليم : الأشرف قانصوه الغورى، ص ١٨٢ .

(٢) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات، ج ١٣ ص ١ .

(٣) مضمون لعبة الكرة، عبارة عن كرة كبيرة من مادة خفيفة كالفلين تلقى على الأرض ويتسابق الفرسان من على خيولهم راكبين فى التقاطها بالصولجان أو الجو كان، فمن سبق منهم إلى إصابتها وإرسالها فى الهواء كانت له الغلبة وكانت تلعب فى ميادين فسيحة مصممة بخطوط بيضاء ( انظر Tafur : Trvels, P. 80 ) .

(٤) المقريزى : السلوك، ج ١ ص ٤٤٤ هامش (١)

(٥) عاشور : الظاهر بيبرس، ص ١٩٤ .

(٦) المقريزى : الخطط، ج ٢ ص ٢٢٨ .

## سباق الخيل والهجن :

ارتبطت رياضة سباق الخيل بالخيول أيضا، وكانت لتلك الرياضة شأن عظيم حيث أقام السلاطين والأمراء مسابقات من الخيول والهجن في الأماكن الفسيحة الواسعة مثل بركة الحجاج أو بركة الحبش أو ميدان القبق<sup>(١)</sup>، فقد كان الظاهر ببيرس يأمر عساكره بالركوب إلى الميدان الأسود وهم في أحسن زى للتريض على ظهر الخيل حيث يزدحم الناس للفرجة عليهم على مدى خمسة أيام، كما كان الناصر محمد يرسل إلى آل مهنا من العريان ليحضروا بالخيول السبق ثم يركب إلى ميدان القبق ويرسل الخيل وعدتها ما ينيف عن مائة وخمسين فرسا، وقد بعث مهنا مع ولديه حجرة شهباء على إنها إن سبقت كانت للسلطان وأن سبقت ردت عليه بشرط لا يركبها للسباق<sup>(٢)</sup>.

وأثر عن السلطان برقوق أنه عرض في سنة ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩م خيل السباق، وفرقها على الأمراء كما كانت العادة<sup>(٣)</sup> كما ذكرت المصادر أن المؤيد شيخ بعد أن شفى من مرضه ركب فرسه ومعه الأمراء والمماليك في شعبان ٨٢٢ هـ / ١٤١٩م ووقف بهم تحت قبة النصر، وقد بعث أربعين فرسا إلى بركة الحاج، فأجريت في ضحى النهار وكان ذلك بغرض الفرجة على سباق الخيل فحصل له برؤيتها النشاط<sup>(٤)</sup> كما كان يميل المؤيد شيخ إلى سباق الهجن حيث ركب في نفس الشهر إلى بركة الحبش وساق الهجن، ونظر عليق الجمال واستكثره، فرسم أن يصرف نصف عليق لكل جمل<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن حجر : أنباء الغمر، ج ٢ ص ٢٥٨ .

(٢) المقرئ : السلوك، ج ٢ ص ٥٢٩ .

(٣) ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ج ١ ص ٢٩٨ .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم، ج ١٤ ص ٨٨ .

(٥) نفس المصدر والمكان .

واتضح مما سبق أن رياضة الفروسية وما يتبعها من رياضات لم تكن مجرد رياضة تمارس بغرض الترفيه بل كانت رياضات تدريبية مهمة تؤهل صاحبها ليكون فارسا عظيما يعتمد عليه في الحروب، والملاحظ أن هذه الرياضات لم تكن لعبة شعبية إلا أن كثيرا من طبقات الشعب قد استمتعوا بمشاهدتها وأحيانا بالمشاركة فيها لأنها كانت خاصة بسلاطين المماليك وأمراءهم والأجناد، وذلك لامتلاكهم تلك الخيول المدربة على هذه الرياضات.

### الصيد :

وارتبطت بالطيور رياضة الصيد والقنص، فكانوا يتدربون على أساليب الصيد منذ حداثة سنهم، كما كانوا ينظرون للصيد على إنها رياضة سامية تسمو بالنفس وتهذب الخلق، وكانت سرحات الصيد موعدها الربيع عادة، وعندما يخرج السلطان للصيد كان بصحبته عدد كبير من الأمراء والمماليك، وكل من تدعو الحاجة إليها من أطباء وكحالين وأدوية وخيام<sup>(١)</sup>.

ويبدأ الصيد بإطلاق الطير في الهواء ثم يرمى لها الحب لتهبط إليه في حين يضرب الأمراء حولها حلقة وهي لاهية في التقاط الحب فيفزعونها بضرب الطبول، والسلطان والأمراء يترقبون صيدها<sup>(٢)</sup>، وبعد أن يأخذ السلطان حظه من الطير المصطاد يتحول إلى اقتناص الوحوش، فتعد الخيل وتضرب العساكر حلقة كبيرة واسعة تطلق داخلها النعامات والظباء وبقر الوحش وغير ذلك، وعندئذ يطاردها السلطان والأمراء بمساعدة الجوارح الصائدة<sup>(٣)</sup> وكان بيبرس من أكثر السلاطين اهتماما بالصيد، ففي عام ٦٦١ هـ / ١٢٦٣م سار السلطان من قلعة الجبل إلى بلاد الشام واستمر في الصيد إلى أن دخل غزة وفي العريش ضرب حلقة بثلاثة آلاف

(١) عاشور : الظاهر بيبرس، ص ١٩٣ .

(٢) المقریزی : الخطوط، ج ٣ ص ٣٢٥ .

(٣) ابن حجر : أنباء الغمر، ج ٢ ص ٢٥٨ .

فرس فوقع فيها صيد كثير جدا<sup>(١)</sup> وفى المحرم ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م خرج السلطان بيبرس من دمشق بعساكره إلى مصر وسار إلى الكرك، ونزل ببركه زيراء وركب يتصيد<sup>(٢)</sup>.

وكان السلطان الشرف خليل مولعا بالصيد، ففى جمادى الأخرى ٦٩١ هـ / ١٢٩٣ م سار من مصر إلى الشام ووصل إلى حماه فتوجه إلى البرية وصاد هناك شيئا كثيرا من الغزلان وحمير الوحش ويذكر أن السلطان كان يصطاد بالفهود<sup>(٣)</sup>.

وكذلك أعتاد الناصر محمد الخروج للصيد فى مواضع عدة، حتى إنه لم يدع أرضا تعرف بصيد الجوارح إلا أقام بها صيادين يقيمون فى البرية أوان الصيد، وكان يفضل الخروج للصيد بصحبة قاصدين من الخارج، ففى المحرم عام ٧٠١ هـ / ١٣٠٣ م رسم لجميع الأمراء والمقدمين بالخروج إلى الصيد نحو العباسية ثم تقدم الدهليز إلى الصالحية ثم إلى البرية للصيد<sup>(٤)</sup> وفى عام ٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م خرج إلى البحيرة<sup>(٥)</sup> وتوجه بعد ذلك إلى الجيزة<sup>(٦)</sup> وفى عام ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م توجه إلى قليوب للصيد<sup>(٧)</sup>.

أما المنصور لاجين كان يتغيب كثيرا فى الصيد تصل إلى الشهرين

(١) المقرئى : السلوك، ج ١ ص ٤٨٠ - ٤٨١ .

(٢) المقرئى : نفس المصدر السابق، ج ١ ص ٥٥٥ .

(٣) العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، تحقيق عبد الرازق الطنطاوى، القاهرة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ج ٣ ص ١١٢ .

(٤) المقرئى : السلوك، ج ٢ ص ٥٣٠ .

(٥) نفس المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٦٤ .

(٦) نفس المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦٩ .

(٧) نفس المصدر، ج ٢ ص ٣١٧ .

مصطحبا معه بعض أرباب الملاهي<sup>(١)</sup>، وكان برقوق مولعا بالصيد، فقد كان يصطاد فى مواضع متعددة، فى المحرم ٧٨٥هـ / ٣٨٤م ركب حتى عدى النيل من بولاق إلى الجيزة من أجل صيد الكراكي، ويذكر أنه خرج للصيد سبع مرات. فى شهر صفر عام ٧٩٦هـ / ٣٩٥م<sup>(٢)</sup> ولم يكن السلطان الناصر فرج بن برقوق أقل من أبيه حبا للصيد، فمارس الصيد هو وأمرأؤه فى جهات متعددة من البلاد، وكان يركب إلى الصيد بناحية بهتیب - ضواحي القاهرة - كما كان يعود من الصيد ويشق القاهرة وعليه ثياب جلوسه وهو ما لم يحدث من ملك قبله، ومن السلاطين الذين عرفوا بولعهم الشديد للصيد المؤيد شيخ، فقد كان يصطاد فى بر الجيزة وغيرها من الجهات مثل سرياقوس، وبركة الحاج، وأوسيم كما كان حريصا على الذهاب إلى مطعم الطير<sup>(٣)</sup>، كما كان يركب للصيد ليلا، ولم يعرف سلطان فعل ذلك إلا المؤيد، كما كان كان من شدة حرصه على ممارسة الصيد كان يصطاد وهو فى طريقة إلى الحج، فيذكر إنه فى ثانى ذى القعدة عام ٨١٧هـ / ٤١٦م خرج من قلعة الجبل وتصيد الكراكي والسناقر وغيرها وكان ذلك وهو فى طريقة إلى الحج.

وكان السلطان برسباى يخرج للصيد فى البرية ليلا، وقد تكرر منه ذلك مرارا كما سرح إلى ناحية أطفیح<sup>(٤)</sup> برسم الصيد والقنص ويات خارج المدينة، كما كان يتوجه إلى جهة شبين وإلى بركة الحاج فى سرحات متوالية<sup>(٥)</sup> أما السلطان إينال، فكان ينزل إلى مطعم الطير، ويطلق البازدارية وهى طيور أعدها لهذا الغرض ثم

(١) العينى : عقد الجمان، ج ٣ ص ٤٣٣ .

(٢) ابن الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان، ج ١ ص ٣٧٤ - ٣٨٤ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم، ج ١٤ ص ٦٣ - ٨٩ .

(٤) أطفیح من البلاد المصرية القديمة تقع على الشاطئ الشرقى للنيل (انظر: ابن تغرى بردى: النجوم، ج ٥ ص ٣١٧ هامش "١").

(٥) ابن تغرى بردى : نفس المصدر، ج ١٤ ص ٣٦٧ .

يطلقون وراءها الطيور الجارحة لاصطيادها<sup>(١)</sup> وارتبط بالصيد رياضة رمى البندق<sup>(٢)</sup>، وكان البندق يطلق بالمزاريق وهي أنابيب ترسلها بضغط الهواء أو بالنشاب أو بالأقواس أو بما يسمى قوس البندق أو الجلاهق، وقيل بالرنطانة<sup>(٣)</sup> وكان يستخدم في رمى الطيور، حتى أن خط البندقانيين بالقاهرة ينسب إلى صناعة البندق<sup>(٤)</sup> فيذكر أن بيبرس سار إلى العباسية ورمى البندق<sup>(٥)</sup>، واعتبر أن رمى البندق وسيلة للتدريب على الرمي بهدف إجادة فنونه، وعلى ذلك كان السلطان يهتم بهذا التدريب ويتأكد بنفسه من جدية التدريب ففي ربيع الأول ٨٩٥ هـ / ١٤٩٤ م عرض السلطان قايتباي أولاد الناس أصحاب الجوامك من ألف درهم فدونه، وكان أمرهم أن يتعلموا رمى البندق<sup>(٦)</sup>.

#### الألعاب الأخرى المتصلة بالحيوانات والطيور :

فضلا عما سبق فقد وجدت ألعاب أخرى منها اللعب بالطيور، وقد شغف السلاطين المماليك باللعب بالحمام<sup>(٧)</sup> وقد أثر عن السلطان المنصور إنه كان يلعب الحمام مع الغلمان، وعرف عن السلطان الكامل شعبان ولعه بحب الحمام فأمر بأن ينادى في القاهرة بالآلا يعارض أحد لعب الحمام أو غيره من أرباب الملاعب، وقد

(١) ابن تغرى بردى : نفس المصدر، ج ١٦ ص ٢٦٧ .

(٢) البندق كلمة فارسية تعنى الرصاص أو الطين أو الحجر، كما أطلق على البندق المصنوع من المعدن لفظ الخرذة، وكانت تستخدم في الصيد (انظر: المقرئى: السلوك ج ٤ ص ٦٥).

(٣) لطفى نصار : وسائل الترفيه، ص ٢٢٨ .

(٤) شوق البندقانيين، من جملته حوانيت لعمل قسى البندق، وكان به عدة حوانيت مرخمة بأنواع الرخام الملون وبها مصانع من ماء تجرى إلى فوارات تقذف بالماء على الرخام (انظر: على مبارك، الخطط التوفيقية، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٣، ج ٣ ص ١٥٩).

(٥) المقرئى: السلوك، ج ١ ص ٥٢٣ هامش "١"، سرود: دولة الظاهر بيبرس، ص ١٤٠.

(٦) ابن إياس : بدائع الزهور، ج ٣ ص ٢٧٠ .

(٧) اللعب بالحمام يقصد به مطيرى الحمام، وهو نوع من الحمام يستخدمه الغواة في المناقرة والمراهنة (انظر: المقرئى: السلوك، ج ٢ ص ٦٤٢).

أنفقوا الكثير من المال على هذه اللعبة، فقد بلغ ما أنفقه المظفر حاجي على عمل حظير خاص بالحمام نحو سبعين ألف درهم<sup>(١)</sup>.

وكان هذا السلطان من كثرة شغفة بلعب الحمام صرفه هذا عن تدبير شئون الدولة، والقيام بأعباء الحكم، فوصف بالطيش الزائد، ويذكر أن هذا السلطان وضع للحمام خلاخل ذهب في أرجلها، وألواح ذهب في أعناقهم، وكذلك صنع لهم مقاصير خشب مطعمة بالعاج والأبنوس، وأقام لهم غلمانا يكفلونهم، ورتب لهم في كل شهر جوامك لخدمة الحمام وبلغ مصروف ذلك خمسين ألف دينار<sup>(٢)</sup>.

ومن الألعاب الأخرى مناقرة الديوك<sup>(٣)</sup> وتناطح الكباش والثيران وقد شغف الغورى بهذه الألعاب، فبعد أن يفرغ من لعب الكرة أعتاد الطلوع إلى الحوش والجلوس بالمقعد الذى به، ويحضر أمامه الثيران والكباش يرسم النطاح، ويستمر فى ذلك إلى ما بعد العصر، كما تتناطح بين يديه الأفيال الكبار والسباع<sup>(٤)</sup>.

ويذكر أنه كان هناك ما يسمى بالقرادة والدبابة وهم الذين يلعبون بالقرود والدبابة<sup>(٥)</sup>، وكان لهذه الألعاب ضامن يسمى (كمجتى) يحصل مال كثير من ضرائب مقررة على أرباب الملعب المناطحين بالكباش، والمناقرة بالديوك وغيرها<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن حجر: الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة ١٩٦٦ - ١٩٦٧م، ج ٢ ص ٤.

(٢) المقريزى: السلوك، ج ٢ ص ٧٢٩، ابن إياس: بدائع الزهور، ج ١ ق ١ ص ٥١٦.

(٣) مناقرة الديوك: كانت مناقرة الديوك أن الديكين يقفا للاصطدام ويصرا على الاصطدام، فمن ضرب منهم من شدة النقرة خسر المراهنون عليه الرهان، (انظر: لطفى نصار: وسائل الترفيه، ص ٢٤٧).

(٤) محمود رزق: الأشرف قانصوه الغورى، ص ١٨٣.

(٥) المقريزى: السلوك، ج ٢ ص ٦٤٢.

(٦) المقريزى: نفس المصدر، ج ٢ ص ٦٤٢.



ويبدو أنه كانت هناك أماكن مخصصة احتفظت فيها ببعض الحيوانات المدربة والغريبة، وكان هذه الأماكن جمعت بين خصائص حدائق الحيوانات، وبعض صفات السيرك في العصر الحالي، وكان الناس يذهبون إلى هذه الأماكن للنزهة والتسلية، فقد ذكر (تافور) الرحالة أنه شاهد هذه الأماكن التي يحتفظ فيها بالفيلة، وقال : أنه شاهد سبعة من الفيلة المدربة على بعض الألعاب منها قذف الرمح في الهواء بخرطومها، ثم الإمساك به، كما أنها تقوم بألعاب أخرى كثيرة، كما شاهد الزرافة في مكان آخر<sup>(١)</sup> .

وكان المتحصل من أرباب الملاعب كثير جدا، إلا أننا وجد بعض السلاطين منعت هذه الألعاب، ففي عام ٧٤٤ هـ / ١٣٤٤ رسم الأمير الحاج آل ملك الجوكندار نائب السلطنة بإبطال جميع أرباب الملعب<sup>(٢)</sup> .  
غرائب متصلة بالحيوان والطير :

ارتبطت بعض الأمور الغريبة من قبل سلاطين المماليك في ولعهم بالحيوانات والطيور، منها أن بعض هؤلاء المماليك ذو الأصل المغولي اعتادوا على أكل لحوم الخيل، كما صنعوا من ألبانها نوعا من أفضل الخمور، وأطلقوا عليه اسم نبيذ ( القمز )<sup>(٣)</sup> .

ومن الغرائب أيضا استخدامهم ما يسمى بالطيور المخلقة – المعطرة – بالروائح العطرية المسماة ( خلوق )، فقد كانت العادة في نقل الأخبار السارة بأن تمسح الطيور والبطائق التي تحملها بهذه المادة أو غيرها من العطور، أما طيور

(١) قاسم عبده قاسم : عصر سلاطين المماليك. التاريخ السياسي والاجتماعي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ١٩٨٨م، ص ٣٣٨ .

(٢) المقریزی : السلوك، ج ٢ ص ٦٤٢ .

(٣) ابن بطوطة : الرحلة : ج ١ ص ٢٠٨، إبراهيم عبد المنعم سلامة : جوانب من تاريخ مصر في عصرى الأيوبيين والمماليك :، ص ٤٢٦ .

الأخبار السيئة وبطاقاتها كانت تلتخ بالسواد<sup>(١)</sup> .

ومن غرائب السلاطين أيضا أنه في عام ٦٩٨هـ/١٣٠٠م قام المنصور لاجين عند تعميره لجامع أحمد بن طولون، جعل وقفا يختص بالديكة التي تكون فوق سطح الجامع المذكور في مكان مخصص بها، وزعم أن الديكة تعين الموقتين وتوقظ المؤذنين في السحر، وضمن ذلك كتاب الوقف، ثم أبطل ذلك حتى لا يضحك الناس عليه<sup>(٢)</sup>.

ومن عادة السلاطين المماليك أنهم كانوا يتصدقون بمثن الفرس عند مرضهم، فلما مرض السلطان خشقدم باع أحد أفراسه وتصدق بثمنه على الفقراء، وكانت هذه عادة قديمة عند الملوك إذا أصيبوا بمرض يتقربون بذلك لينعم الله عليهم بالشفاء<sup>(٣)</sup> . كما عرف في دولة المماليك ما يسمى الآن معامل التفريخ وهي معامل كالتنانير يعمل بها البيض، ويوقد بنار يحاكي بها نار الطبيعة في حضانة الدجاج البيض، ويخرج في تلك المعامل الفرارخ<sup>(٤)</sup> .  
الهدايا والإنعامات :

جرت عادة سلاطين المماليك أن ينعموا على أمرائهم بالخيول مرتين في السنة الواحدة، المرة الأولى عند خروجه إلى مرابط خيوله على القرط(نبات عشبي يشبه البرسيم ) في أواخر الربيع، فينعم على الأخصاء من أمرائه بما يختاره من الخيول قدر مراتبهم وتكون خيول المقدمين منهم مسرجة ملجمة بكنابيش من زركش، وخيول أمراء الطبلخانات عريا من غير قماش.

والمرة الثانية عند لعبة الكرة بالميدان، وتكون خيول المتقدمين والطبلخانات

(١) المقریزی : السلوك ج ١ ص ٦٩٧ هامش "١" .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم، ج ٨ ص ٨٧ .

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٢ ص ٨٢، محمود رزق: عصر سلاطين المماليك، م ٢ ص ٣٥٦.

(٤) السيوطى : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج ٢ ص ١٩٧ .

مسرحة ملجمة بفضة يسيره بلا كنايبش، وكذلك يرسل إلى نواب الممالك الشامية كل واحد، وليس لأمرء العشرات فى ذلك خط إلا ما يتفقدهم به على سبيل الأنعام. وكان لخاصة المقربين من الأمرء المقدمين والطبلخانات زيادات كثيرة يصل بعضها إلى مائة فرس فى كل سنة، وكان له أوقات أخرى يفرق فيها الخيل على ممالكة، وربما أعطى مقدمى الحلقة، وكل من مات له فرس من ممالكة دفع إليه عوضه، وربما أنعم بالخيول على ذوى السن من أكابر الأمرء عند الخروج إلى الصيد ونحوه، ولخيول الأمرء كل سنة إطلاقات أراض بالأعمال الجيزية لزرع القرط لخيولهم من غير خراج، وللممالك السلطانية البرسيم المزروع على قدر مراتبهم وما يدفع إليهم من القرط ويكون بدلا من عليق الشعير المرتب لهم من غير زمن الربيع عوضا عن كل عليقه نصف فدان من القرط<sup>(١)</sup>.

كما كان من عادتهم أن يبعث إلى الأمير بهذه الخيول مع أمير آخوره وأوجاقى، وسائس، وركبدار، ويترب عودتهم حتى يعرف ما أنعم به ذلك الأمير عليهم، فإن شح الأمير فى عطائه لهم تنكر له وبكته ووبخه<sup>(٢)</sup>.

وكان كذلك ينعم على قاضى القضاة بعد قراءة صحيح البخارى التى كانت تتم قبل قدوم شهر رمضان، فى سلطنة الأشرف برسباى أطلع على قاضى القضاة الشيخ سراج الدين عمر البلقينى بعد قراءة صحيح البخارى بغلة بزناى تخرج له من الأسطبل السلطانى، والزناى فى مصطلح الفروسية فى مصر نوع من الأجلال يكون مفتوحا فوق صدر الحصان ومسدود على الكفل بحيث لا يرى الذيل، وكان لزناى يعطى بدل الكنبوش لمن عظمت مكانته ومقامه عند السلطان، ويصنع من الأطلس الأحمر أو الجوخ<sup>(٣)</sup> ولشغف السلاطين بالحيوانات وطيور الجوارح والزينة، نجد أن

(١) القلقشندى : صبح الأعشى، ج ٤ ص ٥٦ .

(٢) المقرزى : السلوك، ج ٢ ص ٥٣٢ .

(٣) ابن تفرى بردى : النجوم، ج ١٤ ص ٢٦٧ .

كثيرا من الهدايا التي أرسلت إلى السلاطين من ولايتهم فى الأقاليم كانت أغلبها مشتملة على حيوانات وطيور ففى عام ٦٦٩هـ / ١٢٧١م أرسل صاحب اليمن هدية قيمة للظاهر بيبرس تشتمل على تحف ودب أسود وفيل<sup>(١)</sup> وفى عام ٧٠٤هـ / ١٣٠٥م تلقى السلطان الناصر محمد هدية من صاحب دنقلة - من أعمال الصعيد- مكونة من جمال وأبقار وحشية<sup>(٢)</sup>، وبعث صاحب أفريقيا أحمد بن محمد من سلالة الموحدين عام ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م هدية نفيسة وهى عدد من الجياد العربية الأصيلة فسر بها السلطان<sup>(٣)</sup> وفى عام ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م وصل نائب الشام تتم الحسنى ومعه هدايا حافلة للسلطان من جملتها عشرة كواهى للصيد ومائة وأربعون فرس، ومائة وخمسين جملا وأربعين كتابيش، وثمانية سروج من الذهب<sup>(٤)</sup>، وفى عام ٨٠٣هـ / ١٤٠١م أرسل تيمور لك هدية للسلطان فرج بسبب إطلاق سراح قريب له كان فى عدادها فيل عظيم الخلق، وعلى ظهره صندوق من الخشب يسع عشرة رجال<sup>(٥)</sup> كما أرسل الملك يوسف بن يعقوب الموينى صاحب المغرب هدية عظيمة للسلطان من الخيل والبغال بالسروج المذهبة واللجم والركاب المكتفة بالذهب<sup>(٦)</sup>

ويتضح لنا مما سبق أن الحيوانات والطيور شكلت جانبا مهماً ووسيلة أساسية من وسائل الترفيه والتسلية فى العصر المملوكى، وجزأ هاماً من تاريخهم الاجتماعى وقدرة المصريين على ترويض الحيوان والطيور واستغلال ذلك فى الترفيه عن النفس والتسلية، حيث لا تخلوا تسلية من منفعة أو فائدة.

(١) المقرزى : السلوك، ج ١ ص ٥٩٥ .

(٢) محمود رزق : عصر سلاطين المماليك، م ٢ ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة، ج ٥ ص ٤٧٩ .

(٤) ابن الصيرفى : نزهة النفوس، ج ١ ص ٤٤٠ .

(٥) محمود رزق : عصر سلاطين المماليك، م ٢ ص ٢٤٢ .

(٦) ابن حبيب : تذكرة النبيه فى أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م ج ١ ص ٢٦٣ .

## المصادر العربية

- ابن خلدون : ( محمد بن أحمد) ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م
- بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق / محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٨٤م
- ابن بطوطة : ( محمد بن عبد الله اللواتى ) ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م
- تحفة النظر فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المعروف ( برحلة ابن بطوطة)، تحقيق / على المنتصر الكتانى، القاهرة ١٩٨٥م.
- ابن تغرى بردى : ( جمال الدين أبو المحاسن) ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م
- حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور، تحقيق / فهيم محمد شلتوت، القاهرة ١٤١١هـ / ١٩٩٠م
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٣٨-١٩٧٢م
- حاجى خليفة : ( مصطفى المسمى كاتب شلبى) ت ٦٧١هـ / ١٦٥٧م
- كشف الظنون على أسامى الكتب والفنون، تحقيق / محمد شرف الدين، بيروت.(د.ط)
- ابن حجر العسقلانى : ( أحمد بن على بن محمد ) ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م
- أنباء الغمر بأنباء العمر، بيروت ط١، ١٣٥٩هـ / ١٩٦٩م
- الدار الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، تحقيق / محمد سيد جاد الحق، القاهرة ١٩٦٦م
- ابن خلدون : ( عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م
- العبر وديوان المبتدأ والخبر المعروف بالمقدمة، تحقيق / على عبد الواحد وافى، القاهرة، ١٩٦٦م.
- السبكى : ( تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب) ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م
- معيد النعم ومبيد النقم، دار الحدائث للطباعة، ط٢ ١٩٨٥م
- السخاوى : ( محمد عبد الرحمن بن أبى بكر) ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار الحياة، بيروت (د.ط)
- السيوطى: ( جلال الدين بن عبد الرحمن) ت ٩١١هـ / ١٥٠٦م
- حسن المحاضرة فى أخبار مصر القاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الموسوعات، القاهرة ١٩٦٨م

- ابن شاهين : ( غرس الدين خليل) ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٨م
- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق / بولس راويس، باريس ١٨٩٤م
  - ابن الصيرفي : ( على بن داود الجوهري) ت ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م
  - نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان، تحقيق / حسن حبشى، دار الكتب القاهرة ١٩٧٣م.
  - العيني : ( بدر الدين أبو محمد بن موسى) ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م
  - السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودى، تحقيق / فهيم محمد شلتوت، مراجعة محمد مصطفى زيادة، دار الكتب القاهرة ١٩٩٨م
  - عقد الجماعة فى تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٠م .
  - ابن الفرات : ( ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم) ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٥م
  - تاريخ ابن الفرات ( تاريخ الدول والملوك)، تحقيق / قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين، بيروت ١٩٣٦-١٩٣٨م
  - الفتى قنبر : الخيل والأدوية وطريقة اسطواتهم وسياستهم، محفوظ بدار الكتب المصرية، رقم ( ٤٢٢٠) طب خليل أغا.
  - ابن قاضى شهبة : ( تقى الدين أبى بكر بن أحمد) ت ٨٥١هـ / ١٤٤٨م
  - تاريخ ابن قاضى شهبة، تحقيق / عدنان درويش، دمشق ١٩٧٧م
  - القلقشندى : ( الشيخ أبو العباس أحمد) ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م
  - صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، نسخة مصورة عن المطبعة الأميرية. ( د.ط)
  - المقريزى : ( تقى الدين أحمد بن على) ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م
  - السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق / محمد مصطفى زيادة القاهرة ١٩٣٤-١٩٨٥م
  - المواعظ الاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية مكتبة الثقافة الدينية، (د.ط)

## المراجع العربية :

- إبراهيم طرخان : مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة (د.ط)
- إبراهيم عبد المنعم : جوانب من تاريخ مصر في عصرى الأيوبيين والمماليك ، دار المعرفة الجامعية، د.ط
- جمال الغيطاني : ملامح القاهرة في ألفى عام، كتاب الهلال، القاهرة ١٩٨٣م
- عاشور : الظاهر بيبرس، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠١م
- على إبراهيم حسن : دراسات في تاريخ المماليك البحرية، القاهرة ١٩٤٨م
- على مبارك : الخطط التوفيقية، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٣م
- قاسم عبده قاسم : عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسى والاجتماعى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ط ١ ١٩٩٨م
- لطفى نصار : وسائل الترفيه في العصر المملوكى، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٩م
- محمد أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكى، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م
- محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون في مصر، دار الفكر العربى ١٩٦٠م، دولة الظاهر بيبرس في مصر، د.ط
- محمد الششتاوى : منتزهات القاهرة في العصرين المملوكى والعثمانى، دار الآداب العربية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م
- محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والأدبى، مكتبة الآداب، ط ١، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م
- مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، بيروت، ١٩٩٦م